بالفصول الوقوف وبالغايات فواصل الآيات فان قلت مساق الكلام يقتضي ان يكون لما وصف الله
كالانزال والرسل ولما وصف به القرآن من التاليف والنظم مدخل في اقتضاء الحمد فكيف توجيهه قلت
لما كان القرآن مرشدا للعباد الى مصالح المعاش والمعاد وكان انزاله عليهم نعمة جزيلة وكونه مولفا منظما مع وا
وجمل على احسن وجوه البلاغة وسيلة الى ان يدرك منه مقاصد دينية ودنيوية على ابلغ وجه والكمل موجب زيادة
في تلك النعمة وسوى جانبها وتنزيله منجما على حسب الحوادث فيه تسهيل ضبط الاحكام والوقوف على قانون نظم الآيات
وفي الافتتاح بالتحميد تنبيه للتالي على ان يحمد الله تعالى على نعمة التوفيق استحلاء بالمزيد وفي الافتتاح بالاستعاذة حيث
لم يختم القرآن على ان يستعيذ به من الشيطان وتخمه واشارة لطيفة الى ان العود الى بدئه احمد واما الحكمة في كونه
محكما ومتشابها ففي المحكم سهولة الاطلاع على ما هو المقصود مع طمانينة قلب وثلج صدر وفي المتشابه فوايد يشار
اليها المعه منها ما في تعارض العلماء واعمالهم القرايح في استخراج معانيه دقة الى الحكم من الفوايد الجليلة والعلوم
الجمة ونيل الدرجات عند الله تعالى واما تفصيله سورا وسوره آيات وسياقتي في الكتاب ان فيه تنشيط القارى في الغساط
الحافظ وتلاحق الاشكال والنظاير الى غير ذلك ‌ ‌ وما في الاوصاف مستدا اشير الى ان هذه الصفات المذكورة
للقرآن من كونه مولفا منظما وكونه منزلا منجما وجعله مثنى ومخمسا وتقسيمه متشابها ومحكما وكونه مميزا مفصلا يدل
على حدوثه لانها مستلزمة لانقسامه الى اجزاء ومع اجتماعها في الوجود فالمتاخر عند وجود المتقدم معدوم والمتقدم
عند وجود المتاخر فكل منهما حادث لان القديم ينافي العدم سابقا ولاحقا وايضا فالمتاخر مسبوق بعدم
المقارن لوجود المتقدم فهو حادث قطعا والمتقدم لا يتقدمه الا بزمان يسير فهو حادث ايضا وكذا المركب
منهما فان قلت اعتبار تاليف من الحروف والكلمات التي يمنع اجتماعها كاف في الاستدلال بهذا الطريق فلا فايدة في
ساير الاوصاف قلت فيه بيان ان هذه الاوصاف ليس بما مرسودة لكونها اوصافا كالية للقرآن مناسبة للاعجاز
مقتضية للحمد عليه فلبيان حدوثه مقصود اصلها اولا وبالذات ولذلك جعله جملة معترضة فلا يلزم كاستدراك
على ان الاستظهار في اثبات الحدوث امر مطلوب فكانه قال لا يخلو من القرآن مفرد من حيث ولا جملة ولا نزول
في حادثة مع ما نزل في اخرى ولا فاتحة ولا خاتمة ولا متشابه مع محكم ولا سورة مع سورة ولا آية مع اخرى وفي
ذلك مع مراعاة تلك المقاصد مبالغة في ذكر الصفات المستلزمة للتوكيد كانها بالغ في افضائها الى الحدوث مقوله وما في الاوصاف
آه هذا وقد وجه الكلام بان دلالة الانزال على الحدوث من حيث ان الحركة المكانية مختصة بالاجسام وما حل فيها وهي
حادثة اتفاقا واما دلالة ساير الاوصاف على حدوثها انما مستلزمة للتركيب المستلزم للامكان الذي يلزمه الحدوث

بناء على امتناع تعدد القدماء ورد عليه بان الخصم لا يساعده على ان كل ممكن حادث ويجوز تعدد القدماء
واعلم ان المصنف استدل بهذه الاوصاف على حدوث هذه العبارات المنظومة ردا على الحنابلة ومن يجري
مجراهم فانهم زعموا ان هذه الحروف والكلمات قديمة قائمة بذات الله تعالى لا على القائلين بالكلام النفسي فانهم يقولون
بحدوث العبارات ويسمونها كلاما لفظيا ويدعون ان هناك كلاما منسوبا قديما قائما بذاته تعالى ولا شك ان
الصفات التي استدل بها على حدوث القرآن مخصوصة بالقرآن اللفظي ولا دلالة لها على اتصاف القرآن
بمعنى الكلام النفسي ولو ادعى ان كل ما يطلق عليه القرآن فهو موصوف بهذه الصفات كان ظاهر البطلان عند
الخصم فكيف تدل به عليه ومن حكم بان قوله وما في الاوصاف من قصر الصفة على الموصوف نظرا الى حاصل المعنى
كانه قال محصل كلامه ان هذه الصفات مخصوصة بالحادث لا توجد في غيره فكل ما يوصف بها كان حادثا فيرد
عليه بانه من قصر الموصوف على الصفة لا العكس والمقصود بناء على ظاهر مفهوم العبارة المبتداء ما له بداء زماني اي اول
زمان وجوده والمبتدع ما اخرج من العدم بدءا اي ما اخترع حكمه فيه والمنشاء المحدث من الانشاء وهو الظهور
والارتفاع والمخرج ما روعي نائبه وتعلق في اخراجه من العدم ما فيه من الخروج بمعنى الشيء واخراجه الله تعالى ابدعه الكائن
من العدم قال والاستغال ما يدل على الاضطراب بالنسبة اليه تعالى للنظر الى كمال الصنع ووجوه المصنوع لا الى
احتياجه تعالى في احداثه الى تردد واعتمال ولكن هذا ضابطا محفوظا فيما يدل على طلب او تكلف ‌ ‌ فسبحان
من فانصبحه من قبيل تقديم ما حقه التاخير اي اذا كان القرآن مع علو شانه ورفعة مكانه وكونه اقرب الاشياء
منه تعالى محدثا فليس البعض منزه ذاته تعالى بصفة القدم ووسم جميع ما سواه بسمة سبق العدم اولى اذا كان كذلك
فانه منزه عن كل وصمة وابرته عن كل نقيصة وفيه رمز الى ان الحدوث انما لزم القرآن لكمالية الذات وتنزيهه عن
الشركة في صفة القدم لا لنقصان فيه بل هو كامل في بابه كما اشار اليه اردف المبتداء بالمبتدع والمنشاء بالمخرج
والاستيثار التفرد والاستبداد والاولية السبق على ما عداه والقدم ان لا يكون مسبوقا بالعدم وهما متلازمان في
الوجود لان ما كان سابقا على جميع ما عداه كان قديما اذ لو كان حادثا لم يكن سابقا مطلقا لوجود القديم وما كان قديما
كان سابقا على ما سواه لامتناع تعدد القدماء المتغايرة ولا تلازم بينهما بحسب المفهوم بهما ولما كان القدم هو المقصود
جعل الاولية توطئة له ترقيا في الكلام والشيء في اللغة كما صرح به في سورة البقرة والانعام يقع على المحال والمستقيم
والجوهر والعرض فيختص هيهنا بالموجود بقرينة قوله بالحدوث عن العدم كما خص بالمستقيم في قوله تعالى والله على كل شيء قدير بقرينة
القدرة هو ان الشيء بالمعنى المذكور في علم الكلام فما لا يلتفت اليه في امثال هذا المقام وفي دعوى اسناد الحوا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1